

المبحث الثالث
النبوة العامة

المطلب الأول
النبوة ومهمتها

النبي والرسول في اللغة:

النبي في أصل اللغة:

وردت لفظة (النبي) مهموزة وغير مهموزة:

١ - فإذا كانت اللفظة بالهمز (النَّبِيء) فهي:

أ - إما مشتقة من النَّبَأ، وهو الخبر، فالنبيء هو المخبر (المُنْبِئ) عن الله تعالى .
ب - أو أن تكون من (النَّبِيء) الذي هو الطريق الواضح، لأن الأنبياء هم الطرق الموصلة إلى الله تعالى .

٢ - وإن كانت بلا همز (النبي) فهي:

أ - إما أن تكون همزتها مخففة .

ب - وإما أن تكون مشتقة من النبوة أو النبأوة، أي: الارتفاع. لأن النبي مرتفع الرتبة على غيره^(١).

(١) لسان العرب مادة (نبأ)، وكتاب سيبويه ج ٢ ص ١٧٠ واشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي ص ٥٠٤ والبيان في غريب إعراب القرآن ج ١ ص ٨٧ - ٨٨ والمسامرة ص ٢٣٢ .
وغالب كتب علم الكلام تتحدث عن اشتقاق كلمة (النبي) في موضع الكلام عن المعنى الاصطلاحي .

الرسول في أصل اللغة:

لفظة الرسول مأخوذة:

أ - من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً، أي متتابعة، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه^(١).

ب - من رسل اللين إذا تتابع دزّه، لأن الرسول هو الذي يتتابع عليه الرّوح^(٢).

النبي والرسول في الاصطلاح:

جاء القرآن الكريم بهاتين الكلمتين معاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

وقد اختلف العلماء في بيان معنهما على أقوال أهمها:

القول الأول:

النبي: إنسان أوحى إليه بشرع (أي أحكام) سواء أمر بتبليغه والدعوة إليه أم لا، فإن أمر بذلك فهو نبي رسول.

فالفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه^(٣).

فالنبي أعم من الرسول، أي: يلزم من كونه رسولاً أن يكون نبياً، ولا عكس^(٤).

وهذا القول هو المشهور^(٥) وبه قال الجمهور وعامة الأشاعرة^(٦) وصححه المهدوي والقاضي عياض في كتابه الشفا، حيث قال: (والصحيح والذي عليه الجَماء

(١) لسان العرب مادة (رسل).

(٢) أصول الدين للبغداد ص ١٥٤.

(٣) المسامرة ص ٢٣١ والذّردير على الخريدة ص ١٨.

(٤) الصاوي على الدردير ص ١٨ وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١٠٥ ولوامع الأنوار ج ١ ص ٤٩ وج ٢ ص ٢٥٨ وذكر في شرح الطحاوية ص ١٠٥ أيضاً: (ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم: لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها).

(٥) المسامرة ولوامع الأنوار والصاوي السابقة وفي شرح الطحاوية (وهو أحسنها).

(٦) حاشية المزجاني ج ١ ص ١٢ والكلنبوي ج ١ ص ٩.

الْعَفِير، أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٍّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا^(١).

القول الثاني:

النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول، فلا فرق بينهما، بل هما بمعنى واحد^(٢). وهو الذي عزاه ابن الهمام إلى بعض المحققين^(٣). وهو مذهب جمهور المعتزلة^(٤).

ورد هذا القول بما يأتي:

١ - بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] فلو كان النبي مساوياً للرسول لما عطف عليه، لأن نفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر^(٥).

٢ - حديث أبي ذر في بيان عدد الرسل والأنبياء يقتضي أن الرسل هم غير الأنبياء، وهذا القول يقتضي اتحادهما، فهو مخالف للحديث^(٦).
وهناك أقوال أخرى لا مجال لذكرها هنا^(٧).



إثبات النبوة

لا يكون إثبات النبوة إلا باجتماع أمرين:

أولهما: ادعاء النبوة.

- (١) الشفا ج ١ ص ٢٥١ وتفسير القرطبي ج ٧ ص ٤٤٧٢.
- (٢) المسامرة والمسامرة عليها ص ٢٣١ والصاوي على الذرير ص ١٨ وإعلام النبوة للمازدي ص ٣٨ والمقاصد ج ٢ ص ١٧٣.
- (٣) المسامرة السابق.
- (٤) حاشية المرجاني ج ١ ص ١٢ والكلبوي ج ١ ص ٩.
- (٥) الكلبي على الدواني ج ١ ص ٩.
- (٦) المسامرة ص ٢٣٢ والكلبي السابق. وسيأتي حديث أبي ذر في (الإيمان بالأنبياء والرسل).
- (٧) انظرها في الكلبي على الدواني ج ١ ص ٩ والمرجاني على الدواني ج ١ ص ١١ - ١٣ وإعلام النبوة ص ٣٨ وشرح المقاصد ج ٢ ص ١٧٣ وتفسير القرطبي ص ٤٤٧٢ وتفسير البيضاوي ص ٣٣٠ والمسامرة ص ٢٣١.

ثانيهما: إظهار المعجزة.

فكل من ادعى النبوة وأظهر المعجزة تصديقاً لدعوته، فهو نبي^(١).

وسياتي تفصيل ذلك فيما بعد.



النبوة اصطفاً واختياراً من الله ﷻ

النبوة فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده، فلا تنال بالكسب، ولا بتكليف العبادة واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتهديب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تأثير للمجتمع فيها^(٢).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ بَلَدِي نَقِيًّا إِنْ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

وقال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].



بشرية الرسل والأنبياء

الأنبياء والرسل بشر، يأكلون ويشربون، وينامون ويمرضون، ويحزنون وينسون، ويجوعون ويعطشون، ويتزوجون ويغضبون، ويتعبون ويستشيرون... ونحو ذلك من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم.

ولما اختارهم الله ﷻ من جنس المرسل إليهم، ليكونوا على صلة وثيقة بهم،

(١) شرح المواقف ص ٥٥٧ وشرح المقاصد ج ٢ ص ١٨٣ والمسامرة ص ٢٤٠ والدواني على العقائد الغضدية ج ٢ ص ٢٧٧.

(٢) انظر: لوامع الأنوار ج ٢ ص ٢٦٧ والباجوري على الجوهرة ج ٢ ص ٣٠ والمواقف وشرحه للجرجاني ص ٥٤٥ وشرح المقاصد ١٧٣/٢.

شاعرين بأحاسيسهم، مطلعين على ما يعانونه من آلام، مقيمين عليهم الحجة الدامغة بإيضاح الطريق المستقيم لهم. ودليل ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم:

- أ - قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
- ب - قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠، وفصلت: ٦].
- ج - وقوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُ عَذَابٌ مِّنَ الْعَذَابِ وَمَا مَسْنَى السُّوءِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].
- هـ - وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].
- و - وقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ثانياً: ومن السنة النبوية المشرفة:

- أ - حديث أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه، فجعل تزعج فرائضه، فقال له: «هُوَ عَلَىكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»^(١).
- ب - قوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُنْسِي كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي» أخرجه البخاري ومسلم^(٢) وغيرهما.
- ج - تواضع الرسول الأعظم ﷺ وسيرته تشهد ببشريته، ولا مجال لأحد في إنكار ذلك.
- د - عبوديته ﷺ لله تعالى الظاهرة في كلامه وأدعيته، كما في الحديث: «اللهم إني عبدك وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك»^(٣) وأمثاله كثير.



(١) سنن ابن ماجه - كتاب الأطعمة - باب القدید ج ٢ ص ١١٠١.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة - باب التوجه نحو القبلة ج ١ ص ١١١ ومسلم في كتاب المساجد - باب السهو في الصلاة ج ١ ص ٤٠٠ واللفظ لهما.
(٣) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٥٢.